السّيرةُ النّبويّة للبراعم

(٣٢)

إِلَى قُبَاءَ

الدكتور
محمد عمر الحاجي

الطبعة الأولى

جميع الحقوق محفوظة

يمنع طبع أو إخراج هذا الكتاب أو أي جزء منه بأي شكل من أشكال الطباعة أو النسخ أو التصوير أو الترجمة أو التسجيل المرئي والمسموع أو الاختزان بالحاسبات الالكترونية وغيرها من الحقوق إلا بإذن مكتوب من دار المكتبي بدمشق .

دار المكتبي
للطباعة والنشر والتوزيع
www.almaktabi.com

سورية ـ دمشق ـ حلبوني ـ جادة ابن سينا
ص.ب ٣١٤٢٦ ـ هاتف : ٢٢٤٨٤٣٣ ـ فاكس : ٢٢٤٨٤٣٢
e-mail: almaktabi@mail.sy

مَا أَجْمَلَ اللَّوْنَ الأَبْيَضَ!

وَقُبَيلَ الوُصُولِ إلىٰ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ ، لَقِيَهُ طَلْحَةُ بْنُ عُبَيْدِ اللهِ ، وَكَانَ عَائِداً مِنَ الشّامِ فِي تِجَارَةٍ .

فَكَسَا طَلْحَةُ رَسُولَ اللهِ ﷺ وَأَبَا بَكْرٍ ثِيَاباً بَيْضَاءَ مِنْ ثِيَابِ الشَّامِ .

فَلَبِسَا الثِّيَابَ البَيْضَاءَ ، وَبِهَا دَخَلا الْمَدِيْنَةَ المُنوَّرَةَ .

* * *

وَفِي يَوْمِ الإِثْنَيْنِ...!

أَمَّا الأَنْصَارُ فِي المَدِيْنَةِ فلَمَّا وَصَلَهُمْ خَبَرُ خُرُوجِ رَسُوْلِ اللهِ ﷺ مِنْ مَكَّةَ المُكَرَّمَة ، رَاحُوا يَخْرُجُوْنَ كُلَّ يَوْمٍ مُنْذُ الصَّبَاحِ يَنْتَظِرُونَهُ .

حتَّىٰ إِذَا مَا قَارَبَتِ الظَّهِيْرَةُ ، عَادُوا إِلىٰ بُيُوْتَاتِهِمْ ، وَفِي المَسَاءِ يَخْرُجُونَ أَيْضَاً .

وَلَمَّا كَانَ يَوْمُ الإِثْنَيْنِ ، الثَّاني عَشَرَ مِنْ رَبِيْعٍ الأَوَّل ، انْتَظَرُوا كَالْعَادَةِ ، ثُمَّ عَادُوا إِلىٰ بُيُوتِهِمْ ، وَعِنْدَئِذٍ وَصَلَ الرَّسُولُ ﷺ . وَكَانَ أَوَّلَ مَنْ رَآهُ رَجُلٌ مِنَ اليَهُوْدِ .

فَصَرَخَ بِأَعْلَىٰ صَوْتِهِ : يَا أَهْلَ الأَوْسِ

وَالخَـزْرَجِ! هَـذَا جَـدُّكُـمْ قَـدْ جَـاءَ! فَخَـرَجَ أَهْـلُ المَدِيْنَةِ ، وَهُمْ لا يُصَدِّقُونَ مَاسَمِعُوا ، فَوَجَدُوا رَجُلَيْنِ يجْلِسَانِ في ظلِّ نَخْلَةٍ .

وَكَانَ أَكْثَرُهُمْ لَمْ يَرَوْا رسولَ اللهِ بَعْدُ ، لَكِنَّهُمْ عِنْدَمَا اقْتَربُوا فَرَأوا أَنْوَارَ وَجْهِهِ صَلَواتُ اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْهِ ، وَرَأَوْا مَدَىٰ اهْتِمَامِ أبي بَكْرٍ بِهِ ، عَلِمُوا : أَنَّهُ هَذَا هُوَ النَّبِيُّ المُنْتَظَرُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُه عَلَيْهِ .

* * *

مَعَ الرَّسُوْلِ ﷺ فِي قُبَاءَ

وَهَكَذَا أَخَذَ المُسْلِمُونَ الَّذين لَمْ يُهَاجِرُوا بَعْدُ يُهَاجِرُونَ الواحِدَ تِلْوَ الآخَرَ ، مِنْهُمْ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَذَلِكَ لأَنَّه مَكَثَ فِي مَكَّةَ بَعْدَ خُرُوجِ الرَّسُوْلِ ﷺ مِنْها ، مَكَثَ ثَلاثَةَ أَيَّامٍ بِلَيَالِيْهَا ، حَتَّىٰ أَدَّىٰ عَنْ رَسُوْلِ اللهِ الوَدَائِعَ وَالأَمَانَاتِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَهُ لِلنَّاسِ .

وَمِنْهُمْ صُهَيْبُ بْنُ سِنَانٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، وَذَلِكَ لأَنَّهُ حِيْنَ عَزَمَ عَلىٰ الهِجْرَةِ ، جَاءَهُ كُفَّارُ قُرَيْشٍ ، فَقَالُوا لَهُ : أَتَيْتَنَا صُعْلُوكاً حَقِيْراً ، فَكَثُرَ مَالُكَ عِندَنَا .

وَبَلَغْتَ الَّذِيْ بَلَغْتَ ، ثُمَّ تُرِيْدُ أَنْ تَخْرُجَ بِمَالِكَ ، وَنَفْسِك...!! واللهِ لا يَكُونُ ذَلِكَ!

فَقَالَ لَهُمْ صُهَيْبٌ : أَرَأَيْتُم إِنْ جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي أَتُخَلُّونَ سَبِيْلي ؟

قَالوا : نَعْم!

قَالَ : فَإِنِّي جَعَلْتُ لَكُمْ مَالِي .

قَالَ : فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُوْلَ اللهِ ﷺ ، فَقَالَ : « رَبِحَ صُهَيْبٌ ، رَبِحَ صُهَيْبٌ » .

فَتَرَكَ كُلَّ مَا يَمْلِكُ ، وَهَاجَر إِلىٰ المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ ، وَفِيْهِ أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَىٰ : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ رَءُوفٌۢ بِٱلْعِبَادِ﴾[1] .

---

(١) سورة البقرة : ٢٠٧ .

قُدُومُ سَلْمَانَ الفَارِسِيِّ

وَأَثْنَاءَ إِقَامَةِ المُصْطَفَىٰ ﷺ في قُبَاءٍ قَدِمَ عَلَيْهِ سَلْمَانُ الفَارِسِيُّ وَلَمْ يَكُنْ قَدْ أَسْلَمَ بَعْدُ ، وَيَرْوي مَا حَدَثَ لَهُ رَضي اللهُ عَنْهُ فَيَقُولُ :

كُنْتُ مِنْ أَبْنَاءِ أَسَاوِرَةِ فَارِسَ ، فَتَرَكْتُ بِلادِي وَرُحْتَ أَبْحَثُ عَنِ الحَقِيْقَةِ ، وَانْطَلَقْتُ تَرْفَعُنِي أَرْضٌ وَتَخْفِضُنِي أُخْرَى ، حتىٰ مَرَرتُ على قَوْمٍ مِنَ الأَعْرَابِ ، فَاسْتَعْبَدُوني - أَيْ : جَعَلُونِي عَبْدَاً - فَبَاعُونِي ، حتَّىٰ اشْتَرَتْنِي امْرَأَةٌ ، فَسَمِعْتُهُمْ يَذْكُرُونَ النَّبِيَّ ﷺ ، وَكَانَ العَيْشُ عَزِيْزَاً .

فَقُلْتُ لَهَا : هَبِي لي يَوْماً! فَقَالَتْ : نَعَمْ! فَانْطَلَقْتُ ، فَاحْتَطَبْتُ حَطَباً فَبِعْتُهُ ، فَصَنَعْتُ طَعَاماً ، فَأَتَيْتُ بِهِ النَّبِيَّ ﷺ ، فَوَضَعْتُه بَيْنَ يَدَيْهِ .

فَقَالَ : « مَا هَذَا ؟ » .

فَقُلْتُ : صَدَقَةٌ .

فَقَالَ لأَصْحَابِهِ : « كُلُوا » وَلَمْ يَأْكُلْ .

فَقُلْتُ : هَذِهِ مِنْ عَلامَاتِهِ ، ثُمَّ مَكَثْتُ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ أَمْكُثَ .

فَقُلْتُ لِمَوْلاتِي : هَبِي لِيْ يَوْماً!

قالت : نعم! فَانْطَلَقْتُ فَاحْتَطَبْتُ حَطَباً ، فَبِعْتُهُ بِأَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، فَصَنَعْتُ طَعَاماً ، فَأَتَيْتُهُ بِهِ ، وَهُوَ جَالِسٌ بَيْنَ أَصْحَابِهِ ، فَوَضَعْتُهُ بَيْنَ يَدَيْهِ فَقَالَ : « مَاهَذَا ؟ » .

قُلْتُ : هَدِيَّةٌ! فَوَضَعَ يَدَهُ ، وَقَالَ لأَصْحَابِهِ : « خُذُوا بِاسْمِ اللهِ » .

وَقُمْتُ خَلْفَهُ ، فَوَضَعَ رِدَاءَهُ فَإِذَا خَاتَمُ النُّبُوَّةِ .

فَقُلْتُ : أَشْهَدُ أَنَّكَ رَسُولُ اللهِ!

* * *

إِنَّهُ مَسْجِدُ قُبَاءَ

وَفي قُبَاءَ كَانَ بِنَاءُ أَوَّل مَسْجِدٍ في الإِسْلامِ ، حَيْثُ جَمَع الصَّحَابَةُ بَعْضَ الأَحْجَارِ . فَوَضَعَ المُصْطَفىٰ ﷺ حَجَراً باتِّجاه القِبْلَة ، ثُمَّ وَضَعَ أَبُو بَكْرٍ حَجَراً ، ثُمَّ عُمَرُ ، ثُمَّ عُثْمانُ ، ثُمَّ عَلِيٌّ رَضيَ اللهُ عَنْهُمْ أَجْمَعِين ، فَقَالَ عَلَيْهِ الصَّلاةُ وَالسَّلاَمُ : « هَؤُلاَء وُلاَةُ الأَمْرِ مِنْ بَعْدِي » .

وَشَارَكَ في بِنَاء مَسْجِدِ قُبَاءَ لَفِيْفٌ مِنَ الصَّحَابَةِ الأَكَارِمِ ، وَقَدْ أَثْنَىٰ اللهُ تَعَالىٰ عَلَىٰ أَهْلِ قُبَاء ، حَيْثُ كَانُوا يَتَمَيَّزونَ بِالطَّهَارَةِ .

رَوَىٰ عَبْدُ اللهِ بْنُ سَلامٍ قَالَ : لَمَّا قَدِمَ

رَسُولُ اللهِ ﷺ عَلَيْنَا ـ يَعْنِي قُبَاءَ ـ قَالَ : « إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ قَدْ أَثْنَىٰ عَلَيْكُمْ في الطَّهُورِ خَيْراً ، أَفلا تُخْبِرُونِي ؟ » .

قَالَ : يَعْنِي قَوْلَهُ : ﴿ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُواْ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾[1] .

قَالَ : فَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ! إِنَّا نَجِدُهُ مَكْتُوباً عَلَيْنَا في التَّوْرَاةِ الاسْتِنْجَاءُ بِالمَاءِ .

وَقَدْ ذَكَرَتْ كُتُبُ الأَحَادِيثِ النَّبَوِيَّةِ طَائِفَةً مِنَ الأَحَادِيْث الَّتِي تحضُّ عَلَىٰ زِيَارَةِ مَسْجِدِ قُبَاءَ ، وَذَلِكَ لِمَا لَهُ مِنَ الفَضَائِلَ وَالمَزَايَا ، مِنْها : مَارَواهُ كَعْبُ بْنُ عُجْرَةَ رَضِي اللهُ عَنْهُ : أَنَّ رَسُوْلَ اللهِ صَلَّىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : « مَنْ تَوَضَّأَ فَأَسْبَغَ

---

(١) سورة التوبة : ١٠٨ .

الوُضُوءَ ، ثُمَّ عَمَدَ إلىٰ مَسْجِدِ قُبَاءَ لا يُرِيْدُ غَيْرَه ، وَلا يَحْمِلُه عَلىٰ الغُدُوِّ إلا الصَّلاةُ في مَسْجِدِ قُبَاءَ لا يُرِيْدُ غَيْرَه ، وَلا يَحْمِلُه عَلىٰ الغُدُوِّ إلا الصَّلاةُ في مَسْجِدِ قُبَاءَ ، فَصَلَّىٰ فِيْهِ أَرْبَعَ رَكَعَاتٍ يَقْرَأ في كُلِّ رَكْعَةٍ بِأُمِّ القُرْآنِ ـ أي : الفَاتِحَة ـ كَانَ لَهُ كَأَجْرِ المُعْتَمِرِ إلى بَيْتِ الله » .

وَقَدْ دَاوَمَ رسولُ اللهِ ﷺ عَلَىٰ زِيَارَةِ مَسْجِدِ قُبَاءَ حَتَّىٰ آخِر عُمُرِه ، رَوَىٰ عَبْدُ الله بْنُ عُمَرَ رَضي الله عَنْهُ قَالَ : كَانَ النَّبِيُّ ﷺ يَأْتِي قُبَاءَ رَاكِباً وَمَاشِياً ، فَيُصَلِّي فِيْهِ رَكْعَتَيْنِ .

* * *

مِنْ قُبَاءَ... إِلَى المَدِيْنَةِ المُنَوَّرَةِ

وَهَكَذا أَقَامَ الرَّسُولُ ﷺ في قُبَاءَ عِدَّة أَيَّامٍ ، وَأَسَّس مَسْجِدَهَا ، ثُمَّ ارتحل مِنْها يَوْمَ الجُمُعَةِ .

حَيْثُ رَكِبَ نَاقَتَهُ صَلَوَاتُ اللهِ وَسَلامُهَ عَلَيْهِ ، وَأَرْدَفَ وَرَاءَهُ أَبُوْ بَكْرٍ رَضِيَ اللهَ عَنْهُ ، وَسَارَ مَعَهُ النَّاسُ عَنْ يَمِيْنِهِ وَشِمَالِهِ .

وَأَثْنَاءَ المَسِيْرِ كَانَ المُسْلِمُونَ يَتَدَافَعُوْنَ ، كُلٌّ يُرِيْدُ أَنْ يُنَازِعَ صَاحِبَهُ زِمَامَ النَّاقَةِ . وَذَلِكَ مِنْ بَابِ تَعْظِيْمِ كُلِّ مَالَهُ عَلاقَة بِالمُصْطَفَىٰ صلىٰ اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .

فَمَا رَأْيُكُم يَا أَحِبَّتِي البَرَاعِمُ في أَنْ نَنْتَظِرَ

وُصُولَ النَّبِيِّ صَلَوات اللهِ وَسَلامُهُ عَلَيْه إلى المَدِيْنَةِ ، وَنَحْنُ نُصَلِّي وَنُسَلِّمُ عَلَيْهِ ؟ وَذَلِكَ امْتِثَالاً لِقَوْلِهِ تعالىٰ : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيْهِ وَسَلِّمُواْ تَسْلِيمًا ﴾[1]

وَآخِرُ دَعْوانا أنِ الحمدُ للهِ رَبِّ العَالمين

* * *

(١) سورة الأحزاب : ٥٦ .